



الذي يتبع ما يحدث في راهن العالم العربي والإسلامي، سيكتشف من دون أدنى جهد، أن كل الثورات المسلحة يتقدمها المتدينون، أو من يسمونهم بـ"الإسلاميين" أو "الجهاديين"، فهم الذين تجدهم بكل الخنادق يقاومون ويجاهدون، ويدفعون الثمن الغالي من دون ندم أو حسرة، بل سعادتهم لا توصف إن قتل أحدهم أو بترت أطرافه.

هذا أمر ليس بالجديد، بل حدث من قبلً كثيرةً، حيث يروي لي مجاهدون جزائريون، وعلى رأسهم والدي حفظه الله، أنه خلال ثورة التحرير ضد المستعمر الفرنسي، كان المتدينون هم من يخوضون أشرس المعارك، ويكبدون العدو الخسائر الجسيمة، حتى صار الجيش الفرنسي يتفادى بعض الكتائب التي يعرف مسبقاً طبيعة المقاتلين فيها وهويتهم.

في حين تجد غير المتدينين في الصفوف الخلفية، وأغلب عملهم خارج إطار المواجهة المباشرة مع جيش الاحتلال الفرنسي، بل بينهم من همّ التنقل بين القرى والأرياف للاستفادة من الأكل والشرب والنوم على حساب فلاحين وبدوين لا يملكون سوى بعض الأغنام، منها يعتاشون ويطعمون صغارهم، وقد عاقبت الثورة في ذلك الوقت عدداً لا يستهان به من هؤلاء الأشخاص.

حتى المستعمر الفرنسي حين يلقي القبض على مجاهدين، فغالباً ما يقوم بإعدام المتدينين ميدانياً أو بمحاكمات صورية، في

حين أن الآخرين إن لم يحافظ على حياتهم تجدهم يفرون من السجون في ظروف غامضة، ونذكر على سبيل المثال العربي بن مهيدى الذى اغتيل في زنزانته، وهو من مجموعة 22 الذين فجروا الثورة الجزائرية.

في حين أن علمانيين مثل أحمد بن بلة، وأيت أحمد، ومحمد بوضياف، وغيرهم، قبض عليهم، وظلوا في السجن إلى أن أطلق سراحهم مع الاستقلال، وبينهم من تصدر واجهة الحكم مثل بن بلة، الذي صار أول رئيس للدولة الجزائرية المستقلة، وقد حملة انتقامات واسعة ضد مجاهدين مثل العقيد شعبانى، الذي يعد أصغر عقيد في العالم، وهو حافظ للقرآن الكريم ومعرف بتدينه والتزامه.

ومنهم مصطفى بن بولعيد، وهو قيادي بارز ومفجر الثورة الجزائرية، تمكّن من الفرار من سجن الكدية "قسنطينة"، إلا أن المستعمر لم يغفر له، ونجح في تصفيته في عملية اغتيال لا تزال غامضة، لأنه كان مجاهداً متديناً ومتزاماً.

لا يجب أن نتوه في إعطاء الأمثلة والتاريخ حافل بما لا يحصى ولا يعد، ونرى ذلك في فلسطين أيضاً، حيث إن المتدينين في الصفوف الأمامية للمقاومة، يرهقون كاهل العدو الصهيوني بعمليات نوعية في عمق ما يسمى "إسرائيل"، في حين أن غير المتدينين نجد أغلبيتهم تتاجر بقضية فلسطين في محاذيف المفاوضات والسلام وغير ذلك.

عندما أشاهد بعض الفيديوهات التي تنشر عن الثورة السورية على سبيل المثال لا الحصر، نجد الشباب المتدين والمتلزم هو من يكون في الخط الأمامي للمعارك مع قوات نظام الأسد، وكل العمليات النوعية قادها شباب متزمت ومتزمم للدين.

وأحس بحسرة شديدة حين أقرأ في صفحات الفيسوبوك لأشخاص يحسبون على الثورة، وهم يطعنون في هؤلاء الشباب؛ بسبب لحام أو لشعاراتهم الإسلامية وتكبراتهم التي يرفعونها عند النصر، مع أن حماسهم الديني والتزامهم هو الدافع الرئيس لقوتهم وتفانيهم في الجهاد ضد المعدين على الشعب السوري.

أكثر من ذلك، التقيت مع كثيرين ينتقدون هؤلاء المتدينين الذين يتتصدون الصحف وأكلت جنوبهم أحجار الخنادق ومتاريس من أكياس الرمل التي يحتمون بها في مواجهة عصابات طائفية تريد أن تفتكم بكل ثائر، وتزداد وحشيتها حين يكون هذا التأثير من أهل السنة.

يجب أن نقر بأمر هام؛ أن الثورات المسلحة في العالم الإسلامي يصنع انتصاراتها المتدينون الذين تخرجوا في المساجد، ويستفيد منها العلمانيون الذين أغلبهم تخرجوا في الحانات وعلب الليل، للأسف الشديد.

إن المحرك الأساسي للهم القتالية لدى الثوار هو الدين، وتدينهم الذي يدفعهم للتضحية بالغالي والرخيص من أجل النصر أو الشهادة، ولو جردنهم من هذا العامل الأساسي لكان شأنهم غير ما نراه الآن في بعض مناطق النزاع، حيث يصنعون بسلاط بسيط انتصارات كبيرة على جيوش مدججة بكل الأسلحة.

لو تبعينا الجيش الصهيوني في كل حروبه، لوجدنا الكتائب يرافقها حاخams، والمقاتلون يحملون معهم التلمود المقدس لدى اليهود وتعاويذ دينية تحفزهم على القتال والفتكت بالعرب والمسلمين.

وفي كل الثكنات الصهيونية نجدهم يدرسون الكهنوت الدينى، ويرفع الحاخams هممهم الدينية إلى أعلى المستويات، ولا توجد ثكنة عسكرية واحدة لا يدرسو فيها التلمود ولا يمارسون تدينهم بكل حرية تامة، بل أشرس المتطرفين من الحاخams هم من ينتدبون لتدريس الجنود الصهاينة وتكوين معنوياتهم في قتال الفلسطينيين، خصوصاً في المراحل الصعبة.

في حين أن الجيوش العربية العلمانية في أكثرها تمنع تدريس المواد الدينية، بل يوجد ما يسمى "الجيش العربي السوري" يحظر حتى الصلاة على العسكريين، وإن اكتشف أمر عسكري وهو يؤدي الركن الثاني من أركان الإسلام، فسيتعرض لعقوبة كبيرة، وربما يصل به الحال إلى السجن من دون محاكمة لسنوات طويلة؛ بتهمة الإرهاب أو الانتماء لجماعة محظورة مثل الإخوان المسلمين.

ونحن نتحدث عن الجيش السوري، فقد انهار مع الثورة السورية، وتفككت روابطه وتحلل إلى عصابات يقودها ضباط نصيريون لهم خلفياتهم الدينية، ولم يجد نظام الأسد من حل لقوى شوكة عصابات "الشبيحة" سوى الاستنجاد بميليشيات طائفية متشبعة بروح دينية انتقامية من أهل السنة، الذين يمثلون الأغلبية الساحقة من الشعب السوري.

النظام السوري بحد ذاته يتباهى أنه علماني، وطالما تحدث بشار الأسد بأن نظامه هو آخر قلاع العلمانية في العالم العربي التي ستنتهي لو سقط حكمه. ولكن مع ثورة الشعب السوري ضد اكتشاف وجهه الحقيقي، فرغم علمانيته لم يقاتل الشعب إلا بميليشيات طائفية، متطرفة لمنتهى الغلو، حتى عروبتها المزعومة ظهرت مجرد قناع، فقد تحالف النظام مع الفرس الإيرانيين ضد الشعب العربي السوري!

حتى لا نتوه كثيراً في جوانب أخرى، نعود للحديث عن دور المتندين في صناعة نصر الثورات، وهي حقيقة ثابتة عبر تجارب التاريخ المختلفة كما ذكرنا سابقاً، ولا يسعنا المقام لإعطاء الأمثلة الكثيرة، ولكن الثابت لدرجة اليقين أنه لو لا عامل الدين ما استمرت ثورات في العالم الإسلامي، وما تحقق أدنى انتصارات.

في المقابل، نجد أن دور العلمانيين محدود جداً في الساحات القتالية، حتى إن شاركوا في العمل المسلح فهم لا يصنعون نصراً إلا بدعم من قوى خارجية، ولهذا نجدهم ينظرون من الفنادق وغير الفضائيات، ويتبينون العمليات العسكرية على الأرض التي يقودها المتندين، وحين يتبدد غبار المعارك، ويتحقق النصر، يهرب العلمانيون للسيطرة على دواوين الحكم، وبدعم أجنبى لا يريد أن يرى حكماً إسلامياً يصنعه من انتصروا بدمائهم وعرقهم.

يجب أن يعترف العلمانيون أن دورهم تنظيري أغلب الأحيان، في حين أن المتندين دورهم قتالي بامتياز، وأغلب الثورات، للأسف، إن لم نقل كلها، ينتصر فيها المتندين ليحكم العلمانيون بغير دين هؤلاء المجاهدين الذين بفضل تدينهم تمكنا من النصر المبين.

عشنا التجربة في الجزائر، حيث إن المجاهدين المتندين صنعوا النصر على الاحتلال الفرنسي، ولكن بعد الاستقلال حكم العلمانيون الذين قدموا من خارج الحدود أو من داخلها، وبينهم من لم يطلق رصاصة واحدة ضد العدو، وكان أثناء مرحلة الثورة كلها يتنقل من بيت إلى بيت، وفرنسا تصنع نجوميته بسلسلة البحث عنه.

روى لي مجاهدون أن أحد مشاهير الثورة في منطقة الأوراس لم يشارك يوماً في معركة واحدة، وكان حين يسمع صوت الرصاص يغمى عليه، وظلت فرنسا تبحث عنه وتصنع منه نجماً عند الناس، وتتفادى البحث في المناطق التي عندها معلومات من عملائها حول وجوده فيها.

هذا الرجل الذي لا يصلي ولا يصوم رمضان، بعد الاستقلال أسند له حكم المنطقة، ومارس الإقصاء على أرامل الشهداء وأبنائهم، وانتقم من المجاهدين الحقيقيين الذين يعرفون تاريخه، فمن لم يقتل منهم يكون قد لفقت له تهمة الخيانة والعمالة وحتى عدم الجهاد.

رغم دور المتندين في القتال الذي لا يمكن أن يرتقي إليه أي مقاتل آخر، فإن العيب الذي يعاني منه هؤلاء، هو عدم وجود

جناح سياسي يكون منهم، وفي الوقت نفسه يفهم اللعبة الدولية جيداً، كما يفعل العلمانيون الذين يستثمرون في المجاهدين المتدينين في مرحلة الثورة، وعندما يقترب النصر يتاجرون بهم ويشيطنونهم حتى لا يقتربوا من كرسي الحكم.

كما أن المتدينين بينهم من يريد أن يحارب العالم برمته، وبذلك يصنع الأعداء الكثري ويوحدهم على الحرب عليه، وبدل أن يتعامل بمنطق المرحلية والتدرج، يعلن الحرب الشاملة التي تجدها أكبر من قوته وعتاده.

عبر التجارب الماضية المختلفة، نرى المتدينين، للأسف، يقاتلون ولكنهم بعد النصر يحكمهم علمانيون بدعم دولي كبير، لأن هؤلاء المتدينين لم يحسنوا التسويق لمشاريعهم، ولا عندهم واجهة سياسية تتقن فن التعامل مع المجتمع الدولي وفق منطق المصالح والمصالح المضادة.

وأخيراً أقول:

في كل حروب المسلمين، نجد المتدينين هم من يجاهدون ويصمدون ويدفعون الثمن غالياً، وعندما ينتصرون يأتي علمانيون ليحكموهم من غير دين كان سبب نصرهم!

والحديث بقية...

[الخليج أونلاين](#)

المصادر: